

الحدث و أفق الإنجازات

الطالبة: فغول حورية

إشراف: د. سعيد محمد

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)

الملخص:

يكاد الاهتمام بظاهرة الحدث في الوطن العربي و الغربي بشكل عام يرجع إلى التحولات الكبيرة التي ظهرت في شتى مناحي الحياة سياسيا و ثقافيا و اقتصاديا و اجتماعيا ... و للحدث عن نشأة هذه الظاهرة و تطورها في الشعر العربي لا بد أولا من تقصي أول حركة تجديدية في التراث الأدبي و إتباع سيرورتها عبر مراحلها التاريخية وقوفا عند حركة الحدث في الإنتاج الشعري و لعل الحديث هنا يكفي من الناحية النظرية حول رائد الحدث في العالم العربية أدونيس.

Abstract:

Almost attention to the phenomenon of modernity in the Arab world and the West in general, due to the great transformations that have appeared in various walks of life, politically and culturally, economically, and socially ... and to talk about the genesis of this phenomenon and its development in the Arab hair must first be finding innovative first movement in literary heritage and follow keeping up through historical stages and a standing ovation when modernism movement in the poetic output and perhaps enough talk here for adonis .

Résumé:

Presque attention sur le phénomène de la modernité dans le monde arabe et l'Occident en général, en raison des grandes transformations qui ont paru dans divers domaines de la vie, politiquement et culturellement, économiquement et socialement ... et de parler de la genèse de cette phénomène et son développement dans les cheveux arabes doivent d'abord être de trouver le premier mouvement d'innovation dans le patrimoine littéraire et suivre à suivre à travers les étapes historiques et une ovation debout quand le mouvement de la modernité dans la production poétique et peut-être assez parlé ici pour adonis ..

تبدو الرغبة في التجديد، في كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية، وكأنها سنة طبيعية توافق قانون التطور الذي ينشد فيما ينشد "تعزيز موقع الإنسان في هذا الكون، ولكن هناك مجالات بعينها يحيطها الإنسان لسبب أو لآخر، بنوع من القداسة، ويحاول المحافظة عليها كما توارثها ما أمكنه ذلك، ولكن حتى هذه المجالات القليلة لا بد أن تخضع بشكل أو بآخر لقوانين التطور، ولا بد في النهاية من أن تأخذ أشكالاً جديدة تلائم واقع العالم الجديد وتعبّر عن تطلعات الإنسان في واقعه الجديد"¹؛ هذا ما يجعل (الحدث) في شتى مجالاتها: علمية كانت أو سياسية أو ثقافية، وخاصة الحدث الشعري التي "لم تكن لتظهر هكذا دون خلفيات فكرية وفلسفية، كما أنها ما كانت لتنبؤ هذه المكانة المرموقة في الفكر الفلسفي المعاصر، لمجرد أنها نظرة جديدة للفن والحياة على وجه العلوم، فقد ارتبطت هذه الحدث بكل ما أنتجته مخيلة الإنسان منذ نشأته الأولى إلى يومنا هذا، فقد كان دائم البحث عن الجديد أينما وحيثما وجد، فالحدث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجديد الذي بإمكانه أن يساعد الكائن البشري على قضاء حاجاته الكثيرة والتي ربما أصبحت في عصرنا هذا لا تنتهي، فبقدر الحاجة إلى الجديد، بقدر حاجتنا إلى الحدث، كما أن التطور المذهل الذي عرفه عصرنا في شتى مجالات الحياة يعبر بلا أدنى شك عن حاجة الإنسان المعاصر إلى الاكتشاف والتجديد"² .

هذا ما يحيلنا أولاً على تتبع الظروف التي نشأت فيها والأبعاد التي تأصلت من خلالها، فلا بد من الإشارة أن (الوجود) يسبق (الماهية)* في الحدث، "ويتقدم فيها الفعل الإبداعي على كل تخطيط قبلي، وتغلب فيها الحركة كل ثبات،

وينقلب معها الشعر العربي خلال عقدين من الزمن (60-80) انقلابا واسعا، تأسست الحداثة في مناخ عربي معقد، يتواصل فيه الفكر الأوروبي الحديث بمختلف اتجاهاته، وعبر مراحلها جميعا ليؤلف اتجاهها واحدا يكرس البعد الإنساني الوجودي، النسبي، بنفي البعد الإلهي الغيبي المطلق فكر (نيتشه³ Nietzsche) و(ماركس⁴ Marx).

لم تعد مسألة الحداثة تقتصر على كونها قضية، إنها تتجاوز ذلك لتصبح إشكالية على المستويات كافة رؤية وإبداعا وتلقيا، وعلى مستويات الاستجابة رفضا وقبولا، وذلك لأن "الحداثة كمفهوم قد انفصلت تماما عن مفهوم التجديد أو المعاصرة لكن يختلفون حول الحداثة، وهو انفصال يتفق عليه كل المتجادلين حول الحداثة؛ ومن هنا تتميز الحداثة، ومادامت الحداثة قد استقلت عرфия من مفهومي التجديد والمعاصرة، فهذا يعني بالضرورة أنها فوق الآنية، وهذا يطلقها من حدود الوقت الذي هو جزئي ومرحلي، ويجعلها زمنية، أي كلية وشمولية، ويتساوى فيها الماضي مع المستقبل، لأنهما معا مادة الزمن الذي لا يفصمه (الآن) بوقتيه وحدوده المرحلية"⁴

إن الأصل في مصطلح (الحداثة) هو منشؤه الغربي، إذ شاع في الاستعماليين اللغويين: الفرنسي والإنجليزي صيغتان هما: "5" moderne "المعاصرة" و "modernity" الحداثة

الأسلاف، ليست ظاهرة مقصورة على فئة، أو طائفة، أو جنس بعينه، بل هي استجابة حضارية للقفز على الثوابت (...). وتعرض مصطلح الحداثة لتحولات في المعنى، وهذا التغيير في دلالاته من مرحلة إلى أخرى يؤكد استمرارية تدفق معطيات الحداثة وقوة زحمها⁶

الحداثة تتطوي في أبعاد موحية، تجعل المرء يؤثر هذا المصطلح على مصطلحات أخرى تتداخل معه، أو تترادف، أعني هذا التحول الذي لو وُصف مرة على أساس شكله فيصبح (الشعر الحر) و(الشعر التفعيلي) ومرة أخرى على أساس زمنه فيصبح (الشعر الجديد) و(الشعر المعاصر) وكما يترادف الشعر المعاصر والشعر الجديد في هذه الوفرة الاصطلاحية تترادف (الحداثة) و(المعاصرة) و(الجدة) ترادفا مضطربا، ذلك أن الجدة لا تعني التحول الجذري بالضرورة، وقد تتطوي على معنى من معاني النسخ والتكرار ينتمي إلى مدلول (التجديد) وارتباط (المعاصرة) بالعصر فقط، يجعل المصطلح يتحول لمجرد وعاء زمني (البياتي) و(الجواهري) معا، في مستوى زمني واحد فحسب⁷.

هكذا يغدو كل ما هو حديث هو أصلا "انتقالي وغير ثابت، هو كلمة (معاصر) تدل على صفة تتلاشى في اللحظة التي نطلقها على الشيء، وهناك حداثات وقدامات عديدة بقدر ما هناك حقب ومجتمعات، فالأزتيك كانوا حديثين بالمقارنة مع الأولميكس، مثلما كان الإسكندر حديثا بالمقارنة مع أمينحوتب الرابع والشعر (الحداثوي Moderniste) عند (روبين داريو Robein Dario) كان عتيقا بالنسبة للأولتريست (النطرفيين) والمستقبلية الآن توحى لنا بأنها جزء من المورث العتيق أكثر مما هي شيء جمالي وسرعان ما سيصير (العصر الحديث) عتيق الغد"⁸.

والحداثة في الفكر الفلسفي الحديث، تمثل لحظة تاريخية حاسمة في مسيرة العقل الغربي، والسياقات المرجعية التي مهدت للمشروع (الحداثوي) تبين وترسم أرضية "اللوعوس الغربي كونها مستمدة بصورة أساسية من فلاسفة عصر التنوير وإسهامات مفكري القرن السابع، حيث المجتمع الغربي حركة تحديث في سائر المجالات الاقتصادية والاجتماعية، فمشروع الحداثة هو اتجاه نحو تحطيم المقدس، بمعنى ذلك الماضي والموروث الثقافي الغابر في القدم، (مدارس الفكر الإغريقي وتوجهات الفكر المدرسي الوسيط) والذي يقدم انجازاته بمظهر القداسة والإلهابة، لذلك ظهر تأسيس الخطابي للحداثة من خلال إعلان ضرورة عقلنة النظر والعمل (الفكر والممارسة) من منطلق رفض كل أشكال اللامعقول"⁹، فتظهر الحداثة بمثابة صيغة مميزة للحضارة الغربية تعارض صيغة التقاليد، لأن وعي الحداثة بذاتها يستند إلى "وعيا بضرورة تمييزها عن القدم، ولذا فإنها تتعرض اصطلاحا مع القدم للدلالة على رفض أسسه وأهمها الديمومة والثبات لأنهما يتعارضان مع معطيات الجدة والابتكار، إنها تعني ترك الأشكال التقليدية في كل مجالات الحياة سواء تعلق الأمر بالسياسة أو الاقتصاد أو المعرفة، بحيث تكمن ماهية المجتمعات الحديثة في الطريقة التي تمرر فيها الفرد

من ثقل التقاليد، لكن يبدو أن مشروع الحداثة في المجتمع الغربي لم يكن أبداً ينطوي على نظرية معينة، فلم يكن فلاسفة القرن التاسع عشر يؤسسون لبناء نظري متماسك لحد ما (...) لقد كانت الحداثة فكرة فأضحت إرادة، وهو ما يضمن وجود تواصل جوهري بين قرن التنوير وعصر التقدم الصناعي" ¹⁰.

أما فيما يخص معالم التدرج التاريخي التي حققت ظهور وانبثاق الحداثة باعتبارها إمكانية حضارية لها طابع خصوصي حصل ذلك في مستويين مختلفين، الأول: هو مستوى تأسيس المعماري، وذلك يتضح في الدعامة النظرية التي باشرها (ديكارت Descartes) وأكملها (هيجل Hegel)، حيث قد أفضت إلى تغيير العلاقة جذريا وأسلوب التعامل مع الطبيعة، فلم يعد الإنسان جزء من مظاهرها وحركاتها، أما المستوى الثاني فيختص بالتجذير النقدي ويمثل اللحظة الواعية في الخطاب الحداثي، فهي مرحلة مراجعة جذية للأسس النظرية، فكان (ديكارت) يؤكد على تمثل الإنسان باعتباره كوجيتو يخلص الذات من أخطاء الواقع الحسي. ¹¹.

الحداثة الغربية :

مسارات تطور المصطلح:

يميل معظم مؤرخي الثقافة إلى تفضيل القرن الثامن عشر لظهور الحداثة ليس فقط لأنه أورث عدة تغيرات وتجديدات في عدة مجالات (الثورة العلمية والفلسفية والمؤسسات المصرفية)، بل لأن ذلك القرن يعي الكثير من الميزات التي ستكون ذات يوم ميزتنا، "لقد بدأت الحداثة بوضعها نقداً للدين والفلسفة والأخلاق والقانون والتاريخ والاقتصاد والسياسة، وكان النقد أبرز مواصفاتها وسماتها، وكل ما يمثلته العصر الحديث كان من صنع النقد بمعنى كونه منهجا في التقصي والخلق والفعل، والمفاهيم الأساس في العصر الحديث، التقدم والتطور والثورة والحرية والديمقراطية والعلم والتكنولوجيا - تعود بأصولها إلى النقد - وفي القرن الثامن عشر توجه العقل إلى نقد العالم ونقد نفسه" ¹².

إذا كانت الصيغة (Modernité الحداثة)، بمعنى الذوق، غالبا ما يحكم عليه بأنه مفرط "ذوق ما هو حديث، نقول إن كان كذلك، فإن الصفة (حديث Moderne) أقدم بكثير، كما يروي تاريخها (هانس روبير جوس Robar Guns) كلمة (Modernus) تظهر باللاتينية في القرن الخامس قادمة من (Modo) كلمة Modernus لا تعني ما هو جديد، بل تعني ما هو حاضر، حالي معاصر للشخص الذي يتكلم، هكذا يتميز الحديث عن القديم أو الغابر، يعني عن الماضي التام، الثقافة الإغريقية الرومانية، الحديثون مقابل القدامى" ¹³.

هذا ما يؤكد زبئية مفهوم الحداثة، إذ يصعب تحديده، إنه مفهوم يسعى إلى الجدة ومواكبة كل ما هو مستحدث، وهذه ميزتها حيث استطاعت أن تمتص كل المشاريع التي جاءت بعدها تحت شعار أن الحداثة إلى اليوم لا تملك معنى محددا، وبالتالي فكل ما جد هو ضمنها، والحداثة في النهاية رهان على التجريد والتجريب والتجديد. ¹⁴

أما على المستوى الأدبي يعتبر كل من: (بولير) و(ملارميه Stéphane Mallarmé) و(رامبو rambo) ممثلي الحداثة الشعرية، حيث رسموا معالمها بدقة متناهية حتى أن (بولير) يعتبر الأب الروحي للحداثة في الغرب، فتمرد على الواقع المر الذي كان يعيش فيه، وتحرر من الأعراف الاجتماعية وجسد الخطيئة في الكنيسة، وحيث عجز عن تغيير العالم الذي طفت عليه الرأسمالية، راح يداعب اللغة مغيرا بنية القصيدة القديمة. ¹⁵

وصار الشعر الفرنسي بعد (بولير) مسألة تعني القارة الأوروبية كلها، ويكفي أن نذكر تأثيره على الإنتاج الشعري في ألمانيا وإنجلترا وإسبانيا وإيطاليا، بل يكفي أن الفرنسيين سرعان ما تبنوا، أن هذا الشعر "كان أبعد أثرا من شعر الرومانتيكيين، وأن التيارات الجديدة التي انبثقت منه كانت أعظم قوة وأشد إثارة (...) لا غرابة إذن في أن يكون (بولير) هو شاعر العصر الحديث وأن يحس هو نفسه أنه جدير بهذه التسمية، فهو الذي استخدم الكلمة أول مرة في سنة 1859 واعتذر عن غرابتها وحدثها" ¹⁶.

كما علينا أن نؤكد على مجهودات (بودلير) وأصالتها في محاولة إطراء المجال الشعري، وترجع هذه الأصالة إلى اقتراحه باستبعاد، "البهرجة التقليدية، وتعرية قلب حديث (قلب) بكل تفعيلاته واندفاعاته وضغائنه وتعاقبات أحلام يقظته، وصفاته الساخر، وذلك بأن يقوم بعمل الشاعر لا عمل رجل الأخلاق".¹⁷

بينما يعتبر (رامبو) شاعر التحرر بلا منازع، حيث أجد قطيعة مفصلية مع التراث، والقطيعة بالنسبة إليه قطيعة "مع أشكال الشعر القديمة والهجوم الكبير على من يسميهم (رامبو) أدباء نظامين، الذين يعود تاريخهم إلى الخطاب الشهير المسمى بخطاب الرائي، كما كان معجبا -قبل كل شيء-، بـ(هوجو Victor Hugo) و(بودلير) وقرأ الفلاسفة وعلماء الاجتماع كـ (برودون Pierre Joseph Proudhon) إضافة إلى (ميشليه Jules Michlet)، كما كانت شخصيته مميزة، وُصف بازواجية وذلك لأهمية أمرين وهما: الفوضوية الهدامة من ناحية وروح نظام الآخر (في شكل إرادة منظمة) من ناحية ثانية".¹⁸

إضافة إلى أنه عُرف بتمرده الشديد، ويظهر ذلك في ثورته على التراث المسيحي والذي اعتبره ثورة على التراث بأكمله، "إنها ثورة لا تهدأ، بل تبدأ بالعذاب وتنتهي بالعذاب، إنه يتمرد على كل شيء لا يستطيع أن يتخلص منه، والدين، ككل موروث، يفرض سلطانه على من يثور عليه (...) عرف (رامبو) كل هذا في شعره، فهو في المرحلة الأولى بوجه هجومه العنيف على المسيح والمسيحية، ويحلل النفس المسيحية تحليلا سيكولوجيا يكشف عن محتنها وشقائها".¹⁹

وقد كانت حركة الحداثة بكل حيثياتها سببا في ظهور وانبثاق أعمال كثيرة، فعلى الرغم من أنها كانت، "ثورة على الأشكال والمضامين السابقة من نظرتها إلى الحياة والعالم، قد أدت إلى بروز أعمال في الأدب والفنون، فإنها لم تسلم من الهجوم عليها، فقد شجبتها الكنيسة الكاثوليكية عام 1907، واعتبرتها بدعة تقتضي محاربتها كما أعلن الفاتيكان خلال عهد البابا (بول) عن شجبه للحداثة الجديدة، كما اعتبر الحداثة فنا منحطا، ويأخذ الناقد الماركسي (جورج لوكاتش Georg Lukas) على الحداثة موقفها السلبي من الإنسان والتاريخ".²⁰

وقد تميز شعر الحداثة بأنه شعر يخرج من "نطاق الأناسيد ويرمي به في حضن الحداثة ويجعل من الشاعر ورشة متنقلة، إذ عليه أن يفتح ويملك كل المعارف".²¹ وبغير ما قرأه ويحوّله إلى شيء آخر مختلف تمام الاختلاف، ولعل هذا الدليل على موقفه من التراث بوجه عام، إنه لا يكتفي بمقاطعته والتمرد عليه، بل يمقته ويعلم كراهته له.

إن موقف (رامبو) من الحداثة شبيه بموقف (بودلير) "فكلاهما يكره الحداثة إذا كانت تدل على التقدم أو التطور العلميين وكلاهما ينتشبت بها بقدر ما تعطيه من تجارب جديدة، تدفعه بخشونتها وسوادها على أن ينشئ فيها قصائد خشنة سوداء".²²

الحداثة العربية:

تعد تجربة الحداثة الشعرية العربية، أحد أهم القضايا الثقافية التي لا تزال تطرح نفسها بكل ثقلها المعرفي والفكري باعتبارها أهم هاجس في الساحة الثقافية والإبداعية العربية المعاصرة، ولعل من مظاهر هذا الإشكال هو القلق الذي يسود المفهوم ذاته، ولكن قبل هذا وذلك هل توجد حقيقة حداثة عربية، أم كل ما في الأمر هي مجرد تبعية غربية فقط؟

إن ما يميز استعمال مفهوم الحداثة عربيا أنه يشغل حيز (التعدد Multiplicité) و(الاختلاف Différence) إن لم نقل (الغموض Ambiguïté) و(الخلط Confusion)، فكلمة "الحداثة ظلت تجري مجرى الدال المتعدد الوجهات طبق تعدده صورة اللغوية القائمة في أذهان المستعملين".²³

يقول (المسدي) أنها الممارسة التي توحى "بالعدول عن النمط السائد والمعياري المطرد فيتبعه صوب الموصفة لتفسير هذا التجاوز والانزياح إلى أن يستقر في التنظير حين يؤسس قواعد الحداثة باعتبارها تجديدًا للرؤية وتغييرًا للمطرّد".²⁴ تعد تجربة الحداثة العربية ربما أقدم زمنيًا فهي ترجع إلى إسهامات شعراء عرب (قديما) حيث بدت بوادر اتجاه شعري عربي جديد تأسيسي ممثل في تجارب الشعراء "بشار بن برد) و(ابن هرمة) و(العتابي) وأبى (نواس) و(مسلم بن الوليد) و(ابن المعتز) و(الشريف الرضي) وآخرين"²⁵، وامتدت بعدها إلى جماعة (الديوان) و(أبولو) و(المهجر)، فكان شعر أبي تمام على الأخص، الثورة الأكثر جذرية على صعيد اللغة الشعرية بالمعنى الجمالي الخاص (...). هكذا اتخذت الحداثة عند أبي تمام بعدا آخر هو ما يمكن أن نسميه بعد الخلق لا على مثال لقد اشتركا في رفض تقليد القديم لكن كلا منهما سلك في إبداعه مسلكا خاصا".²⁶

يرى الكثير من رواد الشعر الحر أن الحركة الشعرية الجديدة، بدأت في بغداد أواخر الأربعينيات 1947/1948 حيث لم تعد (بغداد) أشد العواصم ثوبا وتمردا وانفتاحا على التجديد، فالحداثيون العراقيون كـ (السياب) و(نازك) و(البياتي) كانوا يؤمنون بضرورة التجديد، والثورة على السلطة الأبوية والسلطة اللغوية والتراثية، بينما يذهب البعض إلى القول بأن تجربة (شعر) وخاصة تجربة (يوسف الخال) الذي دعى إلى اعتماد عدد من الأسس في محاضرة له منها: التعبير عن التجربة الحياتية، إبدال التعبيرات والمفردات القديمة التي استنزفت حيويتها ومفردات جديدة، مستمدة من صميم التجربة.²⁷

وتؤكد الكاتبة (خالدة سعيد) أن الحداثة العربية لم تبدأ في الخمسينيات مع حركة التجديد، ومردّد ذلك، بالطبع إلى "المكانة الخاصة التي احتلها الشعر في تاريخ الثقافة العربية، فالشعر هو الذي حظي بالقدر الأعظم من البحوث والشروح، وكان محور الجدل زمن الحداثة العباسية، كما أن الشكل الأدبي الذي قيده الضوابط والحدود، وضعت له المعايير والقوانين، وكانت له هالة شبه دينية، أو على الأقل قدسية"²⁸

هكذا اقترنت الحداثة العربية المعاصرة بمرجعتين - حدثتين كبيرتين - في التاريخ هما:

الحداثة العباسية، والحداثة الأوروبية في القرنين الأخيرين، بحيث تصطبغ الحداثة العربية المعاصرة "بإعادة الاعتبار للإنسان وفاعليته في التاريخ وتأكيد حريته ومسؤوليته. ومن هنا فإن الحداثة تشكل أساسيا، تصحيحا لوضعية استلاب، عن طريق صراع يخوضه الإنسان مع منجزاته السابقة التي تحولت إلى تجريدات وبُنى و تقاليد وأنماط".²⁹ وترى (خالدة سعيد) أن تباشير الحداثة العربية في الأدب بدأت مع التطلعات الأولى لانتزاع التعبير من أسر المطلق ورؤيته كفاعلية تاريخية، لأن النظر إليه من منظور تقليدي يجعله لا زمانيا ولا تاريخيا، كما جعلت أولى شروط الإبداع (رفض التقليد) وكل طغيان يتمثل بأحادية التعبير، هذا ما يعني إعادة الاعتبار للإبداعية الإنسانية والنظر إلى الإبداع على أنه فاعلية أساسية، فالحداثة بالنسبة لها انتقال من الوصف إلى الكشف والتجريب".³⁰

يعتبر (أدونيس) رائد التنظيرات العربية للحداثة في ثقافتنا العربية القديمة، من خلال منظومات (المبرد) و(ابن المعتز) و(ابن جني) و(ابن رشيق)، هؤلاء جميعا ينتصرون للشعر المحدث والشعر المكتوب في زمنهم، وبهذا الخصوص نلاحظ أن الزمن لدى القدماء كان معيار تصنيف الحداثة والقديمة، فهذا ابن المعتز يقول إن الله جعل كل قديم حديثا في عصره وابن رشيق يؤكد أن كل قديم من الشعراء فهو مُحدث في زمانه بالإضافة إلى كل ما قبله.³¹

ورغم انحصار قضية الحداثة في القرنين الثاني والثالث الهجريين على الخصوص لغاية القرن الرابع مع تجربة الشاعر (المتنبي) إلا أن ذلك لا يغير شيئا، "ما دامت معايير القدامة مستخرجة من نموذج واحد هو الشعر الجاهلي (...). أما في العصر الحديث فإن الشعر سمى حدثاته بمفهوم (التقدم Progrès) كمفهوم محوري، يتكامل مع مفاهيم الحقيقة والنسب والخيال أو (التخييل)، إن هذا المفهوم المحوري إلى جانب المفاهيم الثلاثة المصاحبة له والتفاعلات معه ضمن نسق يفعل في النص وفي التنظير، هو الذي يعين حدود القدامة والحداثة في عصرنا".³²

يرى (أدونيس) أنه لا وجود لحداثة عربية أصيلة/فريدة فهي حالة تأسست في ضوء تبعيتها للحداثة الغربية، يقول: "إن الحداثة في المجتمع العربي لا تزال شيئاً مجلوباً من الخارج إنها حداثة تتبنى الشيء المحدث، ولا تتبنى العقل أو المنهج الذي أحدثته؛ فالحداثة موقف ونظرة قبل أن تكون نتاجاً".³³ ويشرح (أدونيس) منابع تجربته الحداثية التي تعود للحداثة الغربية، مؤكداً على الوضعية (التثاقفية Acculturation)، يقول: "أحب هنا أن اعترف بأنني كنت بين من أخذوا بثقافة الغرب، غير أنني كنت كذلك، بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزوا ذلك، وقد تسلموا بوعي ومفاهيم تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة، وأن يحققوا استقلالهم الذاتي، وفي هذا الإطار أحب أن اعترف أيضاً أنني لم أتعرف على الحداثة الشعرية العربية من داخل النظام الثقافي العربي السائد، وأجهزته المعرفية، فقراءة (بودلير) هي التي غيرت معرفتي (بأبي نواس) وكشفت عن شعريته وحدائته، وقراءة (ملارميه) هي التي أوضحت لي أسرار اللغة الشعرية وأبعادها الحديثة عند (أبي تمام) وقراءة (رامبو) و (نرفال Nerval) و (بريتون Breton) هي التي قادنتني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بفرادتها وبهائها، وقراءة النقد الفرنسي الحديث هي التي دللتني على حداثة النظام النقدي عند (الجرجاني) خصوصاً في كل ما يتعلق بالشعرية وخاصيتها اللغوية التعبيرية"³⁴ كما يتقصى مظاهر الحداثة في المجتمع والأدب العربيين منذ القرن السابع الميلادي، ويرى أن الحداثة في هذا المجتمع بدأت كموقف يتمثل الماضي وبفسره بمقتضى الحال، واللافت في أطروحة (أدونيس) حول تاريخ الحداثة العربية، هو استخدامه المصطلح بشكل تعميمي وتجريده من حمولاته التاريخية الحديثة، لإسقاطه على تمايزات تتمثل بجذلية القديم والحديث في سياقات مغايرة تماماً للسياق المعاصر،³⁵ فهو يؤكد على أن حداثة الإبداع الشعري، "غير متساوقة بالضرورة مع حداثة الزمن، فإن من الحداثة ما يستبقه، ومنها ما يتجاوزه، فحين يهزنا اليوم شعر (امريء القيس)، مثلاً، أو (المنتبي) فليس لأنه ماض عظيم، بل لأنه إبداع، يمثل لحظة تخترق الأزمنة، فالإبداع حضور دائم ومعنى ذلك بالتالي، أن ثمة شعرا كتب في زمن ماض ولا يزال مع ذلك حديثاً فالشعر لا يكتسب حداثته بالضرورة من مجرد زمنيته، وإنما الحداثة خصيصة تكمن في بنية ذاتها".³⁶

هكذا يقر (أدونيس): أن الحداثة في المحيط العربي، هي أساساً إشكال مركب، ويؤكد أن إمكانية البحث فيه أمر صعب، ويرى أن الحداثة الشعرية العربية، لا تُقيَّم إلا بمقياس مستمد من إشكالية القديم والمحدث في التراث العربي، ومن التطور الحضاري، ثانياً يقسم الحداثة إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول علمي، وتعني الحداثة فيه إعادة النظر المستمر في المعرفة الطبيعية للسيطرة عليها، والنوع الثاني: ثوري وتعني فيه نشوء حركات ونظريات وأفكار جديدة، أما النوع الأخير ففني، والحداثة هنا تساؤل جذري يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها، وتشترك مستويات الحداثة بأنواعها الثلاثة في أنها (الحداثة) رؤياً جديدة.³⁷

يتوافق هذا مع ما يؤسس له الشاعر (يوسف الخال) حينما يؤكد في مقال له بعنوان (الحداثة نظرة جديدة إلى الوجود) بأن الحداثة "في الشعر هي إبداع وخروج به على ما سلف، وهي لا ترتبط بزمن، فما نعتبره اليوم حديثاً يصبح في يوم من الأيام قديماً وكل ما في الأمر أن جديداً ما طرأ على نظرنا إلى الأشياء فنعكس في تعبير غير مألوف، وقد يكون ذلك من نصيب البعض دون البعض الآخر، فنرى بين شعراء المرحلة الواحدة سلفيين وحديثين معا (...)، والحداثة في الشعر لا تمتاز بالضرورة عن القدماء فيه، ولكنها تقترض بروز شخصية شعرية جديدة ذات تجربة حديثة معاصرة، وهذه التجربة فريدة تعرب عن ذاتها في المضمون والشكل معا، فلا تنتظم أفكاراً ولا معاني في الذهن، تحشد لها الصور الخارجية والألفاظ البيانية بل تخاطبك بوداعة طفل وشفق المؤمن وحرارة العاشق".³⁸ والملاحظ أن حركة الحداثة الأدبية العربية، يمكن مقارنتها باعتبارها أولاً "فكرة تتطوي على الإبداع والاكتشاف، لم يتهأ من الظروف التي واكبت الحداثة عالمياً إلا النذر اليسير، بالرغم من أن ما يسمى عصر النهضة في تاريخنا الحديث بدأ منذ أوائل القرن التاسع عشر إذ أن مجتمعنا العربي لا يزال يفتقر إلى التحولات الجذرية التي عاشها الغرب بضعة قرون".³⁹ فالحداثة

بهذا المفهوم مرتبطة أساسا بالحضارة الغربية وبسياقها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة، وتاريخ الحادثة العربية مشروط بوجود سابق للحادثة الغربية، وامتداد قنوات التواصل بين الثقافتين.⁴⁰ ويقرأ (بنيس) تجربة الحادثة الشعرية العربية المعاصرة من خلال مقاربتها في ضوء تجربتين متناقضتين حادثة (معزولة) وحادثة (معطوبة).⁴¹

الحادثة المعطوبة هي حادثة التقليدية التي كان قد خص لها الجزء الأول من مؤلفه (الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته النصية) والتي وضح من خلاله أن التقليدية مرحلة قد خضعت لتجسيد الزمن في نموذج موحد، أما الحادثة الثانية الحادثة المعزولة، وهي الرومانسية والشعر المعاصر والتي خص بها الجزء الثاني والثالث على التوالي من الكتاب نفسه وهما يشتركان في قراءة مفاهيم مغايرة لمفهوم النظم، ثم المفاهيم المصاحبة له، ورؤيتهما للزمن كسباق يكون اتجاه التقدم فيه هو نفي الماضي وإلغاؤه بالسير نحو المستقبل.⁴²

يؤكد (بنيس) أن ظواهر الحادثة مشروطة بمرجعياتها، لا بما تعنيه هذه المرجعيات من منقول، بل بما تعنيه أساسا من واقع حياتي وأنماط في السلوك الحضاري، وفي التعبير الثقافي وهي بذلك مرجعيات خاصة وهي بالأخص "لا تتعلق حكما، وكما يدعي البعض على ذاتها، بل هي ومن أجل حياة هذا الخاص، مدعوة لانفتاح تعنتي به، ولا تلغي أو تنفي ذاتها فيه، فالواقع -أي واقع- بكل بناء وعلى مختلف مستوياته، لا يستمر حيا، ولا يمكن لوعينا الذي هو أثر متكون بهذه الدينامية، وفاعل في آن في حركاتها، أن الحادثة بخلافيتها علامة على طابع التاريخي وهي بتاريخيتها لا تقبل بوحدانية الوعي، أو بمثاليته، وبالتالي لا تقبل بالخطاب النموذج، أو بتمائل التعابير الثقافية وحادثته الواحدة، لأن زمن الحادثة يناقض ثبات الزمن وتأبده في ما هو جوهر مقدس".⁴³

تمثلت الحادثة العربية في جزء كبير منها -كما رأينا- أطروحات الحادثة في الغرب، بشكل واع ولا واع وظهرت بشكل جلي في التجربة (الأدونيسية) التي استعادت بأسلوب شاعري مبدع مقولات الحادثة الأوروبية.⁴⁴ إن أهم التمايزات بين التجربتين الحداثيتين العربية والغربية تتشكل في نقطة التمسك المحورية، فالحادثة الشعرية الغربية تتفاعل مع المعرفي، الاجتماعي، التاريخي، وفي هذا السياق يمكن أن نستوعب بعدها المعرفي النقدي ضمن "التجاوبات مع التحولات المعرفية الغربية من ناحية (مثلا علاقة الشعر الرمزي - ملارميه - بموسيقى فانجر، أو علاقة السريالية * بروتون بالتحليل النفسي الفرويدي)، وضمن مقاومة ونقد عقلانية الآلينية والتدمير والاستبعاد (رامبو، ملارميه، الدادائية *، الوجودية، حادثة الخمسينيات) من جهة ثانية، حيث يبدو الغرب منشطاً إلى غربيين واحد للاغتراب والتدمير والاستبعاد والثاني للنقد والتحرر".⁴⁵ بينما تتجلى الحادثة الشعرية ضمن الموقف الشمولي، وهي بذلك "رؤية تبدلت من أصوليتها المتعالية إلى إدراك علمي محسوس يملأ مع الزمن فراغاته، مع ما يرافق إبدال هذه الرؤية من اختلاف جذري في علائق اجتماعية وما يضبط انتظامها، وهما عنصران غير متوفرين في الحادثة العربية (الاجتماعية، السياسية). إن الحادثة الشعرية العربية بحاجة لاستيعاب معرفي لتصدعاتها وهي تقترح تسائل اللغة والجسد والمجتمع، تباشر حفرية الصمت في الثقافي الاجتماعي - الأنطولوجي حيث الشرق ليس شرقاً وحده وحيث الغرب ليس غرباً وحده"⁴⁶

هكذا انبثقت الحادثة الغربية من بقايا الحلم (البودلييري) وتأسست على أنقاض (الرومانسية)، وغير بعيد من مؤثرات الحداثوية الغربية بمظاهرها السيئة والضيقة، وقد حقق جيل الرواد بعثاً حقيقياً في القصيدة لمعنى الوجود، ومعنى الإنسان ومن ثمة تشكلت نواة الرفض الأولى لتتبلور من بعد ذلك الرؤية الجمالية للقصيدة العربية.⁴⁷

الإحالات و الهوامش :

- 1 - محمد محمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، بينها ومظاهرها، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1996، ص 13.
- 2 - محمد كعوان، شعرية الرؤيا وأفقية التأويل، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط2، 2003، ص 19-20.
- * يؤكد أنجلر أنه لا يستطيع أن يستمد أشكال الوجود من نفسه، بل من الواقع الخارجي وهي نظرة مادية تعتبر الإحساس إحدى ظواهر المادة المتحركة، ومن ثمة فإنه لا وجود لإحساسات طابع الوعي، ذلك أنه كل ما هو موجود، يوجد على شكل الأسباب المادية ويتطور وفقا لقوانين حركة المادة.
- 3 - ابراهيم رمانى الغموض في الشعر العربي الحديث، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د ت)، (د ط)، ص 40.
- 4 - عبد الله الغدامي، تشريح النص، مقاربات لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987، ص 09.
- 5 - سامر فاضل عبد الكاظم الاسدي، مفاهيم حداثة الشعر العربي في القرن العشرين، مؤسسة صادق الثقافية، العراق، ط1، 2012، ص 12-13.
- 6 - ينظر: عبد الله أحمد، الهنا، "الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، مج 19، 1988، الكويت، ص 06.
- 7 - جابر عصفور، "معنى الحداثة في الشعر المعاصر"، مجلة فصول - الحداثة في اللغة والأدب، مج4، ع4، 1984، ص 36.
- 8 - أوكتايفو باث، الشعر ونهاية القرن، تر: ممدوح عدوان، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998، ص 30.
- 9 - ابن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة، تحليلية نظام تظهر العقل الغربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ردمك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 21.
- ابن داود عبد النور، المرجع نفسه، ص 22¹⁰
- ينظر: ابن داود عبد النور، المرجع نفسه، ص 22-23.¹¹
- أوكتايفو باث، الشعر ونهاية القرن، تر: ممدوح عدوان، ص 31.¹²
- 13 - أنطوان كامبيانيون، مفارقات الحداثة الخمس، تر: محمد عزيمة، دار المواقف للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993، ص 13-14.
- يتظر: محمد الشيكري، هايدغر وسؤال الحداثة، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2006، ص 16.¹⁴
- 15 - ينظر: سعيد بن زرقة، الحداثة في الشعر، أودنيس أنونجا، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004، ص 31.
- 16 - عبد الغفار مكاي، ثورة الشعر الحديث من بودلير إلى العصر الحديث، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 62-63.
- 17 - سوزان برنار، قصيدة النثر، من بودلير حتى الوقت الراهن، ج1، تر: رواية صادق، دار شرقيات، القاهرة، 1998، ص 155.
- سوزان برنار، المرجع نفسه، ص 202.¹⁸
- 19 - عبد الغفار مكاي، المرجع السابق، ص 114.
- 20 - حمدي الشيخ، الحداثة في الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010، ص 19.
- 21 - هنري بيبير، الادب الرمزي، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1981، ص 28.
- 22 - عبد الغفار مكاي، المرجع السابق، ص 112.
- عبد السلام المسدي النقد والحداثة، مع دليل بليوغرافي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1983، ص 07.²³
- عبد السلام المسدي، المرجع نفسه، ص 11.²⁴

- أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط2، 1978، ص 27. ²⁵
- ²⁶ - أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإتياع والإبداع عند العرب، صدمة الحداثة، ج3، دار العودة، بيروت، ص 19-20.
- ²⁷ - ينظر: صالح جواد الطعمة، "الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة"، مجلة فصول الحداثة في اللغة والأدب، ج2، مج4، ع4، 1984، ص 18، 19
- خالدة سعيد، "الملاحم الفكرية للحداثة"، مجلة فصول - الحداثة في اللغة والأدب، ج1، مج1، ع3، 1984، ص 25 ²⁸
- ²⁹ - خالدة سعيد، المرجع نفسه، ص 27.
- ³⁰ - ينظر: خالدة سعيد، حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 9-10-11-12.
- ينظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، مسائل الحداثة ج4، دار توبقال، المغرب، ط2، 2001، ص 101. ³¹
- محمد بنيس، المرجع السابق، ص 162. ³²
- ³³ - أدونيس الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1985، ص 84.
- ³⁴ - أدونيس، الشعرية العربية، ص 86.
- ³⁵ - ينظر: محمد برادة، "اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة"، مجلة فصول (الحداثة في اللغة والأدب)، ج1، مج4، ع3، 1984، ص 20.
- أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العودة، بيروت، ط1، 1980، ص 314. ³⁶
- ³⁷ - ينظر: أدونيس المرجع نفسه، ص 319-320.
- ³⁸ - يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1978، ص 15.
- ³⁹ - صالح جواد الطعمة، "الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة"، مجلة فصول (الحداثة في اللغة والأدب) ج1، مج4، ع4، 1984، ص 15.
- ⁴⁰ - ينظر: جمال سعيد، وليد قصاب، خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2005، ص 105.
- محمد بنيس، الحداثة المعطوبة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2004، ص 132 ⁴¹
- ينظر: محمد بنيس، مسائل الحداثة، ص 162-163. ⁴²
- ⁴³ - محمد بنيس، الحداثة المعطوبة، ص 133.
- ينظر: إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 40. ⁴⁴
- محمد بنيس، حداثا السؤال، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط2، 1988، ص 116. ⁴⁵
- ⁴⁶ - محمد بنيس، المرجع نفسه، ص 130.
- ⁴⁷ - ينظر: خيرة حمر العين، جدل الحداثة في النقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1997، ص 48.
- **المصادر و المراجع المعتمدة في البحث :**
- ابراهيم رماني الغموض في الشعر العربي الحديث، مطبعة دار هومة، الجزائر، (د ت)، (د ط).
- ابن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة، تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ردمك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط2، 1978.
- أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإتياع والإبداع عند العرب، صدمة الحداثة، ج3، دار العودة، بيروت.

- أدونيس، فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة، دار العودة، بيروت، ط1، 1980.
- أوكنافيو باث، الشعر ونهاية القرن، تر: ممدوح عدوان، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998.
- أنطوان كامبيانويون، مفارقات الحداثة الخمس، تر: محمد عزيمة، دار المواقف للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1993.
- جابر عصفور، "معنى الحداثة في الشعر المعاصر"، مجلة فصول - الحداثة في اللغة والأدب، مج4، ع4، 1984.
- جمال سعيد، وليد قصاب، خطاب الحداثة في الأدب، الأصول والمرجعية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2005.
- حمدي الشيخ، الحداثة في الأدب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2010.
- خالدة سعيد، "الملاحم الفكرية للحداثة"، مجلة فصول - الحداثة في اللغة والأدب، ج1، مج1، ع3، 1984.
- خالدة سعيد، حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط1، 1979.
- خيرة حمر العين، جدل الحداثة في النقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1997.
- محمد محمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، بيانات ومظاهرها، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1996.
- سامر فاضل عبد الكاظم الاسدي، مفاهيم حداثا الشعر العربي في القرن العشرين، مؤسسة صادق الثقافية، العراق، ط1، 2012.
- سعيد بن زرقعة، الحداثة في الشعر، أودنيس أنونجا، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004.
- سوزان برنار، قصيدة النثر، من بولدير حتى الوقت الراهن، ج1، تر: رواية صادق، دار شرقيات، القاهرة، 1998.
- صالح جواد الطعمة، "الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة"، مجلة فصول (الحداثة في اللغة والأدب) ج1، مج4، ع4، 1984.
- عبد الغفار مكاي، ثورة الشعر الحديث من بولدير إلى العصر الحديث، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.
- عبد الله الغزالي، تشريح النص، مقاربات لنصوص شعرية معاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987.
- عبد الله أحمد، الهنا، "الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة عالم الفكر، مج 19، 1988، الكويت.
- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، مع دليل بليوغرافي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1983.
- محمد برادة، "اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة"، مجلة فصول (الحداثة في اللغة والأدب)، ج1، مج4، ع3، 1984.
- محمد بنيس، حداثا السؤال، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط2، 1988.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، مسائل الحداثة ج4، دار توبقال، المغرب، ط2، 2001.
- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، مسائل الحداثة ج4، دار توبقال، المغرب، ط2، 2001.
- محمد كعوان، شعرية الرؤيا وأفقية التأويل، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط2، 2003.
- محمد الشيكرك، هايدغر وسؤال الحداثة، إفريقيا الشرق، المغرب، (د ط)، 2006.
- هنري بيبير، الادب الرمزي، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1981.
- يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1978.